المقال: دور الأقطاب البيداغوجية في تطبيق المقاربة بالكفاءات – القطب المتعلم أنموذجا –.

الدكتورة: أنيسة زغدود جامعة أكلي محند اولحاج البويرة. (إشراف) hodarachad@yahoo.fr
الطالبة: أمال عياد ثانوية أسعيد بوعلي ولاية برج بوعريريج. (إنجاز) amalset7@yahoo.com

الملخص:

تناول المقال دور الأقطاب البيداغوجية في تطبيق المقاربة بالكفاءات – القطب المتعلم أنموذجا – دراسة نظرية سلطت الضوء على دور المتعلم وتأثير الموقع الذي يشغله في غرفة الدراسة، وانعكاسه على تحصيله المعرفي واستثماره سلوكيا، انطلاقا من إشكالية: ما هو دور القطب المتعلم في تطبيق المقاربة بالكفاءات؟ والتي عولجت في العناصر الآتية: 1- تحديات التعليم في البيئة الاجتماعية الجديدة. 2- أهداف الجلوس على مقاعد الدراسة. 3- دور المتعلم بين النظام التقليدي والنظام الجديد. 4- خاتمة (نتائج الدراسة).

وخلاصة الدراسة أن دور المتعلم في هذه المقاربة لن يُفَعَّل إلا بتوفير الظروف والوسائل الملائمة والمناسبة. وتنبه إلى ضرورة الاهتمام بواقع التعليم في الجزائر، وتحث على دراسات ميدانية تأصيلية.

الكلمات المفتاحية: الأقطاب البيداغوجية؛ المقاربة بالكفاءات؛ العملية التعليمية التعلمية؛ المتعلم.

Abstract:

The article discusses the role of the pedagogical poles in the application of competency approach - the learner pole model - a theoretical study that highlighted the role of the learner and the impact of the position he occupies in the study room, and its reflection in cognitive achievement and behavioral investment, based on the problem: What is the role of the learner pole in the application of competency approach? Which were dealt with in the following elements : 1. The challenges of education in the new social environment. 2 - the objectives of sitting on the school. 3 - the role of the learner between the traditional system and the new system. 4 - Conclusion (results of the study).

The conclusion of the study is that the role of the learner in this approach will only be done by providing appropriate and appropriate conditions and means. And calls attention to the need for attention to the reality of education in Algeria, and urges thorough field studies.

key words: The poles of pedagogy; Competency approach; Educational learning process ; Learner.

مقدمة:

يقول ايمانويل كانط "لا يستطيع الإنسان أن يصير إنسانا إلا بالتربية. فهو ليس سوى ما تصنع به التربية. ولا بد من ملاحظة أن الإنسان لا يُرَبَّى إلا من قبل أناس، ومن قبل أناس رُبُّوا هم أيضا. لذا، فإنَّ عدم الانضباط والتعلم الذي يُلاحظ عند بعض الناس يجعل منهم مربيِّن سيِّئين لتلاميذهم." (كانط، 2005م، صفحة 14)

إذا كان من أركان التربية ومقوماتها المادة العلمية التي تُطلب وتدرَّس والمعلم الذي يوصلها، والطريقة التي بها توصل المعارف والمعلومات؛ فإن الطالب الذي يتلقاها ويحصلها هو الركن الرابع، وهو المقصود بعملية التربية والتعليم كّلها، وقد عني به إمامنا الإبراهيمي كما عني بسائر أركان التربية، بل عنايته به كانت أبلغ وأعمق؛ لعلمه أن المتعلم هو الثروة التي لا تضاهيها ثروة، كونها صمَّام أمانٍ للوطن، والوريدُ النابض للمجتمع، وها هو يخاطبهم قائلا: "إنّكم يا أبناءنا مناط آمالنا، ومستودع أمانينا، نعدُّكم لحمل الأمانة وهي ثقيلة، ولاستحقاق الإرث، وهو ذو تبعات، وذو تكاليف، وننتظر منكم ما ينتظره المُدَّلِج في الظلام من تباشير الصبح" (حسين، صفحة 10)

وإن الإصلاح التربوي أصبح ضرورة تعليمية ومطلبا اجتماعيا، فرضته متغيرات العصر وعدم الرضا المجتمعي عن الأداء التربوي، من خلال مؤشرات تحدد مستوى التحصيل الدراسي للطلاب خلال المراحل التعليمية المختلفة، لذلك سعت العديد من الدول إلى المبادرة لإصلاح نظمها التربوية كلما أحست بدواعي هذا الإصلاح (هياق، 2011م، صفحة 88).

وقيام المدرسة كمؤسسة تربوية لم يكن عملية مقصودة في بادئ الأمر، وإما حصل هذا التطور كنتيجة حتمية للتطورات المختلفة للمجتمع في بناياته الاقتصادية والاجتماعية والنفسية. وكذا تغير الفلسفات والأرضيات الأيديولوجية.

هذه التطورات التي ظلت مستمرة منذ قرون خلت إلى يومنا هذا، جعلت من المدرسة ميدانا لدراسات متنوعة في المجالات المختلفة للعملية التربوية والتعليمية، وكانت هذه الدراسات قصد الوصول بالمدرسة إلى تحقيق غاياتها التربوية والوصول بالمتعلم إلى الكفاءات المرغوبة.

وقد اتسع نطاق هذه الدراسات فشمل جل أطراف العملية التعليمية من معلم وتلميذ وإدارة وطاقم التفتيش أو الإشراف الذي يلعب دورا أساسيا في نجاح العملية التعليمية التعلمية (بورغداد، 2010م، صفحة 40).

ونظرا لهذه الأهمية القصوى التي يحتلها المتعلم في سلم العملية التعليمية التعلمية فقد ارتأيت التطرق إلى موضوع دور الأقطاب البيداغوجية في تطبيق المقاربة بالكفاءات –القطب المتعلم أنموذجا– كمحاولة

لصبر أغواره وتبيان أهميته والدور الفعال الذي يقوم به كونه حجر أساس لعمليتي التربية والتعليم كمنتج ومستثمر على الصعيد الشخصي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي.

وكانت الإشكالية: ما هو دور القطب المتعلم في تطبيق المقاربة بالكفاءات؟

وتكمن الأهمية النظرية: في إلقاء الضوء على تأثير الموقع الذي يشغله الطالب في غرفة الصف في اتجاهاته نحو المحيط الصفي، وانعكاس ذلك على تحصيله الدراسي؟ (بركات، 2010م، صفحة 6)

واخترت معالجة الموضوع في العناصر الآتية:

1- تحديات التعليم في البيئة الاجتماعية الجديدة.
2- أهداف الجلوس على مقاعد الدراسة.
3- دور المتعلم بين النظام التقليدي والنظام الجديد.
4- خاتمة (نتائج الدراسة).

1 تحديات التعليم في البيئة الاجتماعية الجديدة

من الأساسيات التي ينبغي الاهتمام بها إدراك أن المتعلمين في تحد مع معاول الهدم التي تعصف بالشباب لأن البيئة الإعلامية والظروف الاجتماعية التي يعيشها الشاب في العصر الحديث تمثل فتناً دهماء تعصف بعقل الشاب وتأسر اهتماماته. لذا نجد أن التحديات جد كبيرة أمام العملية التعليمية التعلمية في ظروف البيئة الاجتماعية الحديثة التي تتخللها هذه الصعوبات والمعوقات لسيرها الحسن في ظل المقاربة بالكفاءات (ماضوي، 2010م، صفحة 37).

يعرف معجم المصطلحات التربية وعلم النفس الإصلاح التربوي على أنه النظر في النظام التربوي القائم بما في ذلك النظام التعليمي ومناهجه، وذلك من خلال إجراء الدراسات التقويمية ثم البدء في عملية التطوير وفق مقتضيات المرحلة الراهنة والرؤى المستقبلية للنظام التربوي، وفي هذه الحالة تكون الاتجاهات العالمية ومظاهر التجديد التربوي من أهم الأمور التي توضع في الاعتبار (بورغداد، 2010م، صفحة 31).

عرفت البيئة المدرسية في الجزائر منذ الاستقلال مشاكل موضوعية عديدة ارتبطت أساسا بالمنهاج والبرامج التعليمية، مما دفع بالدولة الجزائرية إلى التفكير في إجراء إصلاحات شاملة وموضوعية من أجل وضع منظومة تربوية فعالة وذات جودة عالية –طرق التدريس ومناهج تربوية جديدة– تنسجم والتحولات الاجتماعية والاقتصادية التي شهدها المجتمع الجزائري من جهة، وتواكب التطور العلمي والتكنولوجي الذي فرضته العولمة العالمية من جهة أخرى (أفروجن، 2017م، صفحة 30).

وقد لجأت الجزائر لإصلاح المنظومة التربوية وذلك بداية من السنة الدراسية 2003 – 2004 وذلك باعتماد التدريس بالمقاربة بالكفاءات بدلا من التدريس بالأهداف (بورغداد، 2010م، صفحة 31). على مستوى السنة الأولى ابتدائي، والسنة الأولى متوسط، أما التعليم الثانوي فكان بداية من 2005 – 2006.

إن هذا الإصلاح، يعد الثاني من نوعه، بعد الإصلاح العميق الذي عرفته المدرسة الجزائرية في سنة 1976. غير أنه إذا كان إصلاح السبعينات، قد أملته فترة ما بعد الاستقلال، وكانت الأسبقية فيه لتأصيل المدرسة بمضامينها وإطاراتها وبرامجها، فضلا عن ديمقراطيتها وانفتاحها على العلوم والتكنولوجية، فإن الإصلاح الجديد، تمليه ظروف أخرى مرتبطة أساسا بالتغيرات التي تعيشها البلاد في المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وبالحاجات الاجتماعية، الناجمة عن هذه التغيرات (2009م، صفحة 3).

وتفرضه تحديات جديدة، تختلف عن تلك التي كان على المدرسة الجزائرية أن تواجهها في السبعينات، إنها تحديات من شكل آخر وعلى المدرسة اليوم أن تواجهها بإعداد أبنائها للعيش في علم تطبعه عولمة الحياة في شتى مجالاتها المختلفة، وتميزه تكنولوجية الأعلام والاتصال الجديدة التي بدأت في إحداث تغيير في وسائل التعليم وأساليبه وفي مفهوم الزمان والمكان فيه (2009م، صفحة 3).

وينبغي التذكير أن بيداغوجيا الكفاءات جاءت كنتيجة حتمية لتطور طبيعي لبيداغوجيا الأهداف، حيث كان الصراع محتدما بين أنصار المدرسة السلوكية التي يتأسس على مبادئها التعليم بالأهداف، والتي من أشهر روادها: ثورندايك، واطسن، سكنر، بافلوف. وبين أنصار المدرسة البنائية ذات النزعة العقلانية، والتي من أشهر روادها: العالم السويسري جون بياجي. (بورغداد، 2010م، صفحة 31)

وعندما وجهت إلى التعليم الهادف انتقادات لاذعة، بسبب قصوره على تجزئة الأهداف وتفتيتها، حيث جعل المتعلم عبارة عن آلة مبرمجة لا تعي إلا صياغة الأهداف وتنفيذها ضمن سياقات متقطعة، وغير متوافقة مع حاجات الإنسان وتطلعاته وطموحاته، وفي الوقت نفسه لا تنمى لديه أي كفاءة تتماشى مع سوق العمل (الحياة الوظيفية) لأنها تهتم بالمعارف بشكل كبير (بورغداد، 2010م، صفحة 32).

لذلك طرحت المقاربة بالكفاءات كبديل لبيداغوجيا الأهداف، لتكمل المسيرة الثورية في مجال تحديث تقنيات التدريس وأساليبه.

ومن ثم يجب أن نفهم بأن التدريس بالكفاءات ليس قطيعة لنموذج التدريس بالأهداف، وإنما هو تعديل لمسار بيداغوجي أصبحت بعض تقنياته لا تستجيب للحاجات الفردية والاجتماعية الجديدة (بورغداد، 2010م، صفحة 32).

وقد واجه إصلاح المنظومة التربوية في الجزائر تحديات كبرى:

أ – تحديات التعليم الداخلية:

إذا ما تطلعنا إلى واقع التربية والتعليم في الجزائر، سنجده يعاني من عدة أزمات، السبب الرئيسي فيها يعود إلى سوء التخطيط التربوي، وعدم وضع إستراتجيات تربوية مستقبلية، تقوم على تهيئة فرد متطور، قادر على صنع جزائر متطورة (بن يحيى، 2012م). ولذا وجب على النظام التربوي أن يرفع ثلاث تحديات داخلية (بورغداد، 2010م، صفحة 32، 33):

- في المقام الأول ينبغي أن تترجم في المدرسة التغيرات المؤسساتية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تحصل في الجزائر خلال السنوات الأخيرة، وذلك يجعل المدرسة تقوم أحسن قيام بإيصال قيم التسامح والحوار وتحضر التلاميذ لممارسة مواطنتهم في مجتمع ديمقراطي، وبعبارة أخرى يتعلق الأمر بتحسين وجاهة التعليم أمام احتياجات المجتمع الجزائري الحالي.
- وفي المقام الحالي يتعين على المدرسة الاطلاع جيدا بوظيفتها في التربية والتنشئة الاجتماعية والتأهيل، وبمعنى آخر رفع نوعية النظام التربوي (أي فعاليته الداخلية).
- وفي المقام الأخير يجب عليها مواصلة تطبيق ديمقراطية التعليم أي جعله في متناول أكبر عدد ممكن من التلاميذ وضمان حظوظ متساوية في النجاح لكل تلميذ، وبعبارة أخرى يجب زيادة الإنصاف في النظام التربوي.

وتضيف شادية بن يحي على ما سبق في التحديات الداخلية عنصر متعلق بالبيئة والصحة (بن يحيى، 2012م) لعلاقتهما المهمة في مشروع تطوير الجزائر من خلال النهوض بالتربية والتعليم.

ب – تحديات التعليم الخارجية:

يجب على النظام التربوي كذلك أن يرفع عدة تحديات خارجية اعتصرتها ميادة بورغداد في مجالين فقالت (بورغداد، 2010م، صفحة 33):

- ونعني أول الأمر تحدي العولمة الاقتصادية التي تتطلب كفاءة عالية آخذة في التزايد ومتلازمة أكثر فأكثر مع متطلبات حركية المهنة.
- كما نعني كذلك تحدي المعلوماتية أي اللجوء في آن واحد إلى تكنولوجيات الإعلام والاتصال الجديدة من أجل التحصيل المدرسي وتعلم استعمالها في مختلف قطاعات الحياة النشيطة.

وتضع شادية بن يحي مجموعة من الحلول الممكنة لتطوير التربية والتعليم، وجعلها أكثر تطور لمواجهات تحديات العصر بشتى أنواعها، وتكمن فيما يلي (بن يحيى، 2012م):

.ضرورة وضع مخطط تربوي شامل، يتماشى ومتطلبات العصر ويحتوي على إستراتجيات معاصرة من شأنها خلق تنمية بشرية، بالتخلص من الطرق التقليدية التعليمية ومحاولة وضع طرق جديدة تتماشي وروح العصر.

.الانتقال من المحلية إلى العالمية، ومن الكم إلى الكيف، ومحاولة المقاربة بينهما. بمعنى تجهيز فرد جزائري بمميزات عقلية عالمية، والتركيز على فكرة رأس المال البشري والثقافي، فالإنسان المثقف يعتبر ثروة اجتماعية من شأنها تطوير المجتمع.

.حاجة المخطط التربوي لأن يكون على وعي تام بفلسفة لنظام واضح المعالم، لكي يعيش المناخ الذي يحياه كل من (المعلم والتلميذ ومدير المدرسة وولي الأمر) من جهة، و(مديري التربية والمسؤولين بالوزارة) من جهة أخرى، بحثا عن بيئة تربوية جديدة يحيا فيها مهندس الإنتاج (معلم) بمصانعنا التربوية نحو الابتكار والتجديد، لخلق رأس مال بشري جزائري قادر على مواجهة تحديات العصر.

تتمثل هذه التحديات في رفع الفعالية الخارجية للنظام التربوي، أي جعله أكثر استعدادا للاستجابة لمقتضيات تنمية البلاد الاقتصادية والاجتماعية ضمن بيئة عالمية. وفي إطار مواصلة إصلاح المناهج التعليمية قصد تحقيق نجاعة قصوى لها من خلال استدراك الاختلالات الملاحظة بشأنها، والتي أفرزتها الممارسة الميدانية منذ الشروع في تطبيقها سنة بعد سنة. (بورغداد، 2010م، صفحة 33).

ج – تحديات التعليم مع العولمة والتكنولوجيا المعاصرة:

ووجب لزاما على النظام التربوي كذلك أن يرفع عدة تحديات لمقابلة عصر التكنولوجيا وغزوها للمؤسسات التربوية وكيفية تفعيلها واستثمارها في العملية التعليمية التعلمية بإيجابية، خاصة وأن المتعلم تقبلها بقبول حسن وأصبحت من ضروريات حياته اليومية وهناك من أدمن عليها.

مما لا شك فيه أن نهاية العقد الأخير من القرن الماضي، وبداية القرن الحالي كانت تحمل العديد من المؤشرات، التي توحي بأهمية التكنولوجيا في المجال التربوي بعد ظهور الحاسوب، وتوفير الوسائط الإعلامية المتعددة وسهولة استخدامها بعد تبسيط كيفيات التعامل معها، بات من الضروري أن تلِج المجال التربوي، لتسهيل الفعل التربوي بكل مراحله، ومن هذا المنطلق فأي عملية إصلاحية للنظم التربوية لا تراعي مستجدات العصر لن يكتب لها النجاح (هياق، 2011م، صفحة 86).

إن الفعل التربوي على مستوى التطبيق داخل حجرات الدراسة وخارجها، يتطلب جملة من الوسائل المساعدة على فعالية العملية التربوية، فهذه الوسائل الحديثة تمكن التلميذ من التعلم الذاتي نظرا لسرعة التدفق المعرفي، وضروري أن يتكيف التلميذ والمعلم مع كل جديد، كما بات من الضروري الاعتماد على وسائل جديدة أو ما صار يعرف بالتكنولوجيا التفاعلية، لخدمة التربية والتعليم لضمان نجاح العملية الإصلاحية للمجال التربوي (هياق، 2011م، صفحة 87).

"فالإعلام والاتصال عبر الحاسوب يعتبر لغة جديدة وأساسية لا يمكن التغاضي عنها، وأهميتها لا تكمن في استعمال الآلة من أجل تحسين الأداء التربوي وبلوغ التعلم المستهدف وتغيير دور المعلم في القسم،

وهي أيضا تتطلب كفاءات جديدة تضاف إلى التكوين القاعدي للمعلم وللمتعلم، وبالتالي يصبح منشطا ومؤطرا بيداغوجيا، لأنه لم يعد الوحيد الذي يملك المعرفة" (حديدان، 2011م، صفحة 202).

"ويرى كثيرون من التربويين أن إحلال التنويع والتجديد والبحث عن عوامل الجذب للطلبة وتكريسها وتطويرها ينبغي أن تكون الشغل الشاغل لإدارات المدارس وأن تقدم لها الجهات المعنية للدعم المادي والمعنوي بما في ذلك مؤسسات المجتمع المدني المدعوة أكثر من أي وقت مضى إلى شراكة حقيقية مع التربية والتعليم في إعداد جيل المستقبل وتحسين مستوى مخرجات التعليم" (الغامدي، 1437هـ، صفحة 3).

لتبقى الغاية من ذلك تعويض التربية النموذجية بتربية فاعلة تضع في المقام الأول تنمية قدرات وخبرات الطفل الذي سيكون في خدمة مصالح الدولة الجزائرية في جميع المستويات (أفروجن، 2017م، صفحة 30).

وننبه إلى "اختيار التكنولوجيا المناسبة يجب أن يعتمد عل احتياجات الطلبة وطبيعة المادة الدراسية" (بيتس، 2007م، صفحة 37، 38)

ومن كل ما سبق نجد أن من تحديات التعليم في الجزائر مع عصر العولمة والتكنولوجيا:

- تعزيز التربية والتعليم من خلال التكنولوجيا وتوفير الأجهزة للمتعلم والمعلم.
- إدماج التكنولوجيا في العملية التعليمية التعلمية بين جميع الأقطاب البيداغوجية (المعلم–المتعلم–المنهاج).
- تربية المتعلم على حسن ترشيد استهلاك واستخدام التكنولوجيا وكيفية استثمارها الإيجابي في جميع حياته.

وبعد عرض بعض أهم التحديات التي تواجه العملية التعليمية التعلمية – التعلم في الجزائر– حاليا انصبت كل الجهود في مساق واحد وهو العمل من أجل تحسين التعليم وتفعيله في الواقع المعيش ليخرج من الحيز النظري إلى تطبيقه في الواقع واستثماره وبذلك الرقي والتطور في جميع المجالات والميادين والخروج من التبعية للقيادة والريادة، ولتحقق هذا المبتغى وجب أول شيء أن نفهم ما هي الأهداف من الجلوس على مقاعد الدراسة؟

2 أهداف الجلوس على مقاعد الدراسة.

أصبح التعليم في الوقت الحاضر تعليمًا للجميع، وهذا يعني ضمن أشياء أخرى، أن الجميع عند بلوغ سن السادسة في معظم الأحوال سيلتحق بالدراسة، وسيتنقل عبر مراحلها إلى أن يكمل مرحلة التعليم

الأساسي، ثم يواصل عبر التخصصات المتنوعة، إلى أن يحصل على شهادة أعلى، فيمكن أن يستمر الطالب إلى أن يصل إلى أعلى المستويات، بما في ذلك التعليم العالي، ويعني هذا أيضا أن مقاعد الدراسة، وبغض النظر عن مستوى ونوع التعليم، سيتواجد فوقها طلاب لهم مختلف القدرات، والمشارب، والرغبات والتطلعات، والخلفيات الاجتماعية، وفي وسط هذا التنوع سيجلس الطالب المجد وصاحب الرغبة القوية في التعلم، إلى جانب الطالب غير المجد والذي ليست له رغبة في التعلم وقد يجلس هذا الطالب الأخير على مقاعد الدراسة، لأنه فرض عليه الجلوس في بداية المشوار، مثل تواجد رفاق اللعب في المدرسة مثلا، أو ليظهر أمام الآخرين أنه مثل بقية أصدقائه، ولا يقل عنهم لا في الاستعداد ولا في المقدرة، وقد يواصل الجلوس لأن المدرسة أو المؤسسة، التعليمية هي أفضل ما هو متاح أو متوفر للتواجد فيه (بركات، 2010م، صفحة 4،5).

لا ينبغي للطالب أن يحضر الفصل ليستمع إلى شريط كاسيت يسرد فيه المعلم المادة العلمية. لذا فإن تطورا كبيرا ينتظر تقنية التعليم، ذلك أن مقياس كفاءة نظام التعليم لا يقاس بمجموع الكلمات التي يلقيها المعلم في الفصل، ولا بكمية المعلومات التي يتعرف عليها الطالب في المحاضرة. إنما الهدف الأساس من الحضور الطالب هو للتعرف على معلومات ثم بالتالي توظيفها لتطوير عمله أو تحسين بيئته أو الارتقاء بسلوكه أو خدمة مجتمعه (ماضوي، 2010م، صفحة 36).

لأن التعليم هو تلك العملية التي يقوم بها المعلم والتي يهدف من خلالها إلى إحداث تغيرات عقلية، ونفسية وجسمية لدى التلاميذ، وذلك قصد تنمية شخصياتهم بجميع أبعادها،... وإكسابهم العديد من السلوكات والاتجاهات والقيم الاجتماعية والأخلاقية (راشدي، 2004م، صفحة 4).

ونقل محور الارتكاز من المعلم إلى المتعلم، ومن التعليم إلى التعلم، وتوظيف التقنيات المتقدمة المتطورة، وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات والوسائل التعليمية متعددة الوسائط، والتعلم الإلكتروني (شحاتة، 2008م، صفحة 21).

لهذا فالمتعلم الذي يبذل نشاطا حقيقيا في طلب المعرفة لا بد أن يكون لهذه المعرفة قيمة ومعنى بالنسبة إليه وفي هذا الإطار يؤكد جون ديوي على أن التعليم الفعال يتحقق عندما يكون الشيء المراد تعلمه يعني شيئا بالنسبة للمتعلم (راشدي، 2004م، صفحة 5).

الهدف من المدارس هو تعليم الطلاب؛ ومهما كانت النشاطات الأخرى التي تقوم بها المدارس، فإنها يجب أن تعزز في المقام الأول مستوى عاليا من التعلم للطلاب (دانييلسون، صفحة 27).

وترمي المقاربة الجديدة إلى منح التلميذ الكفاءات التي تمكنه في نهاية المطاف، من تحديد مستقبله، واختيار مشروعه الشخصي عن بينة من أمره، حيث تتيح له الكفاءات أيضا أن ينضج وان يكون مستقلا

عن محيطه، ويجب أن ينتقل التلميذ من مؤسسة قسرية تمارس المراقبة إلى مؤسسة أكثر انفتاحا وتقترح مقاييس جديدة لتسيير العلاقات بين شركائها (حديدان، 2011م، صفحة 202).

فالمقاربة بالكفاءات هي طريقة في إعداد الدروس والبرامج التعليمية وذلك من خلال:

–التحليل الدقيق للوضعيات التي يتواجد فيها المتعلمون أو التي سوف يتواجدون فيها.

–تحديد الكفاءات المطلوبة لأداء المهام وتحمّل المسؤوليات الناتجة عنها.

–ترجمة هذه الكفاءات إلى أهداف وأنشطة تعلمية.

إضافة إلى هذا فمن الأهداف الرئيسية من الجلوس على مقاعد الدراسة هو غرس القيم "إن القيم جوهر المنظور الثقافي ومركز الثقل فيه. وهذا الجوهر القيمي يتجسد في الأنماط التنظيمية التي اتفق عليها في أسلوب تدبير الحياة، وتتألف من ذلك كله أنواع القيم المادية والاجتماعية والمعنوية والأخلاقية التي نحرص على تمسك بها ورعايتها وهي تتراكم وتتطور عبر الزمن. إن المنظور الثقافي للتعليم هو ما يجعل للحياة معنى متمثلا في منظومة من القيم والغايات، وحيث تحقق الثقافة المشتركة قدرا مشتركا من القيم والمفاهيم والرؤى بها يضمن تقوية التواصل بين شرائح المجتمع، والتوفيق والتوازن بين مصالحها المتباينة والتسامح والاحترام لما بينها من فروقات (شحاتة، 2008م، صفحة 32، 33). وعليه فإن المنظومة الثقافية منبع ومصدر للمنظومة التعليمية.وفي الوقت نفسه يعود التعليم ليصب في الرصيد الثقافي من خلال المنتج التعليمي (شحاتة، 2008م، صفحة 34). والمنتج التعليمي هو المتعلم الذي تنقل إليه المبادئ والقيم الأخلاقية التي يمتثل لها وتترجم في سلوكه الصادر عن وعي وقناعة فكرية ترسم له نهج حياته. فتتجلى في معاملاته مع غيره وسط مجتمعه.

لماذا المقاربة بالكفاءات؟

–أ جاءت المقاربة بالكفاءات لإثراء ودعم وتحسين البيداغوجيا، وليس للتنكر أو لمحو فن تربوي عمره سنوات طويلة.

–ب يفشل كثير من التلاميذ، بسبب عدم تمكنهم من تحويل المعارف، لأنهم يكتسبون معارف منفصلة عن سياقها، ومقطوعة عن كل ممارسة.

–ج من أجل ترسيخ المعارف في الثقافة والنشاط.

–د لأن المعارف المدرسية لا معنى لها بالنسبة للتلاميذ ما دامت منفصلة عن مصادرها وعن استعمالاتها الاجتماعية. إذا فالمقاربة بالكفاءات تنشئ علاقات بين الثقافة المدرسية والممارسات الاجتماعية (حديدان، 2011م، صفحة 203).

إن التعليم يرادف الحياة لأن الاشتباك مع الواقع من خلال معايشته من السمة المتميزة للتعليم (شحاتة، 2008م، صفحة 37). وهذا هو الأساس الذي انطلقت منه المقاربة بالكفاءات توظيف التعليم في الواقع وتوظيف الواقع في العملية التعليمية التعلمية لدى المتعلم.

يقول ولهة حسين: "وقد سبق العلّامة الإبراهيمي ما قال به أصحاب النظريات المعاصرة في مجال التربية والتعليم، بل ذهب إلى أبعد مما قالوه عن المدرسة والمتعلم، والعلاقة بينهما وبين المجتمع؛ إذ رأى بأّنها بنيان ينتج فن البناء، ومشكاة تغذي النشء بفاكهة العقل التي جذرها في التاريخ وعنانها في المستقبل، وأصلها ثابت" (حسين، صفحة 12).

لقد أصبح للتلميذ أدوار جديدة في المدرسة، فالمقاربة بالكفاءات الجديدة تعطيه الحق في المساهمة مع المعلم لاكتساب معارفه في إطار علاقة أفقية متفاعلة، إذ أن التلميذ يبحث ويحلل ويستعمل المعلومات، حيث يجب على المدرسة أن تمنحه أدوارا بيداغوجية ملائمة (حديدان، 2011م، صفحة 203).

ولكي تحصل الفائدة والكفاءة في المتعّلم، وجب على المعلِّم أن يُنظِّم العملية التعليمية (التدريس) وفق طبيعة المادة، وما تقتضيه من طرائق في تقديمها وعرضها، كلّ ذلك إنما يستهدف المتعلم، ليعود إلى المجتمع بذهنية مُغايرة عن التي كانت حال خروجه من مجتمعه، موجِهة إيَّاه إلى الأحسن، والأرقى والأسمى، والأفضل، والأجمل والأقوى، كما عبر عن ذلك الإبراهيمي. فالتربية عنده ليست أمرا متفردًا، إنما كلاً متكاملا. (حسين، صفحة 13)

ومن هنا نجد أن الهدف من الجلوس على مقاعد الدراسة تابع للهدف من التربية والتعليم والمرامي على حسب الأبعاد الفكرية والفلسفية عند من يضعون المناهج وكيف يرون ماهية التربية والغرض منها وما المتعلم إلا ثمرة لذلك ومثال عن ذلك قول الحسن الحياري:

أما التربية في ضوء النهج الإسلامي: تعد الوسيلة المثلى في توضيح وإرساء دعائم العقيدة والمثل والقيم في نفوس أبناء المجتمع وفق الإطار الفكري العام للنهج الإسلامي، وما يرافق ذلك من إعداد جميع أبناء المجتمع أفرادا وجماعات لحشد شتى طاقاتهم التربوية والعلمية وفق قدراتهم الفردية والجماعية بما يتناسب مع معطيات العصر الحضاري الذي يعيشونه لتحقيق الأهداف الفردية والجماعية التي ينشدها أفراد المجتمع المسلم وفق تعاليم الإسلام الغراء. فهذا النوع من التربية لن يكتب له النجاح أو التقدم إلا في مجتمع إسلامي يعيش مبادئ الإسلام اعتقادا وسلوكا في شتى جوانب الحياة ومظاهرها. فالذي يود أن يقتحم نظاما تربويا إسلاميا في مجتمع لا يطبق تعاليم الإسلام في شتى أموره حياتية مثله كالذي يود أن يجمع بين الأضداد التي لا يجمع بينها جامع، ويدل ذلك على الجهل الصارخ بخصائص الإسلام وطبيعته وماهية التربية ودورها في المجتمعات (الحياري، 1993م، صفحة 38).

ومن هذا نستنتج بالمقابل أن التربية والتعليم بفلسفات غربية لا تصلح في بيئة إسلامية، بمعنى أن أهداف التعليم والغاية من الذهاب للمدرسة تنطلق من الخلفية الأيديولوجية لمن يضع المناهج وملامح تخرج المتعلم المأمولة من ذلك في كل مرحلة ومستوى، فلا يمكن استيراد فلسفة للعملية التعليمية التعلمية خاصة في ظل المقاربة بالكفاءات وتطبيقها على أي مجتمع لأن لكل مجتمع خصائصه، كيف يمكن تطبيق التعليم بالوسائل والوسائط التكنولوجية الجديدة في الأرياف الجزائرية أو في المناطق النائية وأبسط ضرورات وظروف التعلم غير موجودة والإمكانيات المادية وغيرها، ودون مراعاة ظروف المتعلم ووضعه الاجتماعي والمادي و...، سيحصل عزوف وهروب من المدرسة وبالتالي لن يتحقق الهدف من الذهاب إليها في وسط كبير ومهم من شرائح المجتمع، خاصة وأن الغاية هي تفعيل التعليم في الواقع وربطه بالمجتمع من أجل التنمية والتغيير والتطور ومواكبة العصر.

ومن كل هذا نلاحظ تغير جذري في دور المتعلم بين النظام التقليدي والنظام الجديد، في العملية التعليمية التعلمية.

3 دور المتعلم بين النظام التقليدي والنظام الجديد.

إن نجاح أي عملية تعليمية إنما يتطلب تضافر مجهودات مختلفة من مختلف أطراف العملية التربوية كل حسب الوظيفة التي يشغلها (بورغداد، 2010م، صفحة 35). فإذا كان التعليم هو النشاط الذي يقوم به المعلم أثناء العملية التعليمية، فلا يتحقق هذا النشاط إلا بوجود عنصر مقابل ألا وهو المتعلم الذي يوجه له هذا التعليم، ودور ونشاط المتعلم في الموقف التعليمي هو التعلم، ... والذي يؤدي إلى اكتسابه لمعارف، مهارات وسلوكات لم تكن بحوزته من قبل (راشدي، 2004م، صفحة 4).

والمتعلم عليه أن يستغل ويوظف طاقته النفسية والجسمية وخاصة العقلية في تعلمه حتى يكون دوره نشط وفعال وإيجابي في عملية تعلمه، إذن أصبح الهدف الأسمى من التربية والتعليم هو تنمية الشخصية السوية والمتكاملة للمتعلم حتى تساعده على حل مشاكله ومواجهة صعوبات الحياة (راشدي، 2004م، صفحة 7).

وللمتعلم استعداد فطري للتعلم خاصة عندما يشعر أن ما يتعلمه ليس شيء غريب عنه بل هو بحاجة ملحة إلى تعلم المفاهيم، المعارف والفنيات التي تساعده على فهم نفسه، بيئته والتأقلم مع محيطه وحل مشاكله اليومية (راشدي، 2004م، صفحة 5).

وخير ضمان لجذب والمحافظة على الانتباه الحقيقي للتلميذ هو أن يكون للشيء المراد تعليمه قيمة ذاتية وأن تكون هناك مشكلة حقيقية أمام عقل التلميذ. (راشدي، 2004م، صفحة 5)

وقد عبر جون ديوي عن هذا المبدأ بقوله "من دون وجود سؤال ما أو شك ما ماثل في العقل يكون حدوث الانتباه الفاحص مستحيلا" (ديوي، 1978م، صفحة 146)

ويعد الطالب محور العملية التعليمية، وهو مرتكز عمليات التطوير في نظام التعليمي التي تهدف إلى رفع مستوى أدائه علميا ومهاريا وقيميا وسلوكيا إلى أعلى المستويات؛ حيث إن مستوى تحقيق هذا الهدف من شأنه أن يؤثر على الوضع الحالي والمستقبلي للأفراد والمجتمعات. ومن أجل تحقيق هذه الغاية تأتي أهمية وضع مجموعة من المعايير الخاصة بالطلاب التي ترسم صورتهم كمنتج تعليمي نهائي للعملية التعليمية في اتخاذ القرار المناسب حول أداء الطلاب ومستواهم الدراسي، ويمكن تقسيم المعايير إلى خمسة أقسام هي: (ابن سلمه، 2008م، صفحة 12، 13).

- معايير المعارف والمهارات الأساسية (يمارس أركان الإسلام وشعائره التعبدية والمعاملات بشكل صحيح، يعتز بإسلامه وانتمائه ويحقق المواطنة الصالحة ممارسة وتطبيقا، يتمثل أخلاق الإسلام قولا وممارسة وتطبيقا، يتصف بالوسطية في الأقوال والأفعال والمعتقدات...)
- معايير المعارف والمهارات الأكاديمية (مجال القراءة، مجال الاستماع، مجال التحدث، مجال الكتابة، مجال الرياضيات، مجال العلوم، مجال الحاسب الآلي، مجال اللغة الإنجليزية)
- معايير مهارات الإدراك والتفكير (التفكير الابتكاري، التفكير الناقد، اتخاذ القرار، التعامل مع المشكلات)
- معايير المهارات الشخصية (إدارة الذات وضبط والثقة بالنفس، تحديد الاهتمامات والأهداف والتطلع لتحقيق الطموح، الاستعداد للتعلم والتدريب المستمرين والعمل)
- معايير المهارات الاجتماعية (العمل التطوعي، العمل ضمن فريق، الاتصال والتفاعل والتكيف الإيجابي مع الآخرين ومع بيئته المدرسية والاجتماعية والعمل على تطويرها)

كما نلاحظ أن دور الأقطاب البيداغوجية (المعلم، المتعلم، المنهاج) في العملية التعليمية التعلمية تغير بتغير المقاربة المعتمدة، وهذا واضح جدا من المقاربة بالمضامين (حيث كان التركيز على المعلومة والمحتوى) والمقاربة بالأهداف (حيث التركيز على الأهداف المسطرة وتحقيقها فقط) إلى المقاربة بالكفاءات (المتعلم هو الركيزة وحجر الأساس) والتي حققت قفزة نوعية في التعليم كونها توظف تهدف لتوظيف المعارف والمكتسبات في العملية التعليمية التعلمية في المدرسة، وفي الحياة المتعلم الخاصة والأسرية والاجتماعية، ونلاحظ من خلالها تغيير إيجابي في الفكر والسلوك. هذا هو المفروض تواجده في ظل هذه المقاربة أي إخراج التعليم من الإطار النظري إلى التطبيقي. وعلى إثرها تغير دور المتعلم من ملقن ومتلقي إلى قطب فاعل وفعال في العملية التعليمية التعليمة.

أ – **دور المتعلم في النظام التقليدي:** ففي النظام التربوي التقليدي يلعب المعلم الدور الأول في نقل المعلومات إلى الطلاب، كما أنه يقوم بتفسير هذه المعلومات، وقد يستعين بالكتب المقررة. (ماضوي، 2010م، صفحة 37)

فالتعليم في الصف التقليدي الأستاذ هو محور النشاط، ينقل المعرفة إلى المتعلم، ويكون التعليم قائما على التلقي أكثر منه على التفاعل، يمكن استخدام وسائط عدة، لكن نقل المعرفة يتم معظمه شفهيا، ومن خلال بعض المواد التعليمية المكتوبة، المتعلمون المتميزون فقط هم الذين يحققون إنجازات هامة ولا يواجهون صعوبة في التعبير يشاركون في الصف أكثر من غيرهم (الهيتي، صفحة 16).

وحصر محمد الحنجوري دور المتعلم في التعليم التقليدي في النقاط الآتية (الحنجوري، 2014م، صفحة 4، 5):

- يعتمد على الثقافة التقليدية والتي تركز على إنتاج المعرفة ويكون المعلم هو أساس عملية التعلم.
- لا يحتاج التعليم التقليدي إلى نفس تكلفة التعليم الالكتروني من بنية تحتية وتدريب المعلمين والطلاب على اكتساب الكفايات التقنية وليس بحاجة أيضا إلى مساعدين لأن المعلم هو الذي يقوم بنقل المعرفة إلى أذهان الطلاب في بيئة تعلم تقليدية دون الاستعانة بوسائط إلكترونية حديثة أو مساعدين للمعلم.
- يستقبل جميع الطلاب التعليم التقليدي في نفس المكان والزمان.
- يعتبر الطالب سلبيا يعتمد على تلقي المعلومات من المعلم دون أي جهد في البحث والاستقصاء لأنه يعتمد على أسلوب المحاضرة والإلقاء .
- يحدد التواصل مع المعلم بوقت الحصة الدراسية ويأخذ بعض التلاميذ الفرصة لطرح الأسئلة على المعلم لأن وقت الحصة لا يتسع للجميع.
- لا يراعي الفروق الفردية بين المتعلمين ويقدم الدرس للفصل بالكامل بطريقة شرح واحدة.
- يعتمد على الحفظ والاستظهار ويركز على الجانب المعرفي للمتعلم على حساب الجوانب الأخرى فالتركيز على حفظ المعلومات على حساب نمو مهاراته وقيمه واتجاهاته ويهمل في الجانب المعرفي مهارات تحديد المشكلات وحلها والتفكير الناقد والإبداعي وطرق الحصول على المعرفة.
- التغذية الراجعة ليس لها دور.
- تبقى المواد التعليمية ثابتة دون تغيير لسنوات طويلة.

ومما ذكرت عُلا عبيات من عيوب التعليم التقليدي (عبيات، 2017م):
التركيز على أسلوب التلقين، وضع مجموعة من المختصين بالمادة الدراسية المناهج الدراسية دون الرجوع إلى الطالب، أو المعلم، والاعتماد على نتائج الامتحانات التي تتطلب الحفظ في تحديد علامة النجاح. كثرة المواد الدراسية، وكبر حجم المادة، مما أدى لربط قضية الفشل بعدم حفظ الدروس، مما أدى إلى

ظلم الطالب. وجود أعداد كبيرة من الطلاب في قاعات الدراسة، مما أدى لخفض قيمة التواصل بين المعلم والطلبة، بالإضافة إلى خفض القدرات الإنتاجية؛ نظراً لعدم قدرة المعلم على التواصل مع كافة الطلبة. شعور المعلم والطلاب بالملل، بالإضافة إلى كون المعلم جهازاً للتسجيل، والطالب مستمع دائم.

وتضيف رزان صلاح عيوبا أخرى لهذه الطريقة تتمثل في (صلاح، 2017م):

- تحول دون إثارة تفكير الطالب، وتمنع استفادته من قدراته الذهنية ومهاراته التفكيرية المختلفة، حيث يصبح حافظاً للمعلومة دون أنّ يفهمها، وسرعان ما ينساها، الأمر الذي يحول دون توظيفها في المواقف الحياتية المختلفة.
- تجعل من الطلاب تابعين لغيرهم، غير قادرين على بناء الآراء ووجهات النظر الخاصة بهم، بحيث يأخذ الطالب المعلومات كمُسلّمات دون أنّ يناقش فيها، وينساق لأصحاب الأفكار دون فهمها.
- لا تتيح للطلبة القدرة على خوض غمار النقاشات المختلفة، والتعبير عن رأيهم بكلّ حرية وجرأة ودون أيّ تردّد.
- تمنع التطور والتقدم في المجتمعات الإنسانية، حيث تلغي أساليب وأنماط التفكير العصري الحديث، على رأسها نمط التفكير الناقد، والتفكير الإيجابي، والتخطيطي، وغيرها.
- تجعل من البيئة الصفية والمدرسية مكاناً غير مرغوب فيه للطلبة، وتحتاج إلى وقت طويل.

ب – دور المتعلم في النظام الجديد: إن منهج التلقين عفا عليه الزمن، فلم يعد الهدف من العملية التعليمية هو استظهار المعلومة والتعرف عليها أو توضيح دلالتها إنما الهدف الحقيقي هو تنشئة المتعلم على التعامل مع تحديات الحياة وخوض غمارها بعقلية علمية. فالمنافسة لم تعتد مقتصرة على الإنتاج والعطاء في ميادين الحياة المختلفة، إنما أصبح أصل التنافس المتعلم، هذا العنصر الأهم في المعادلة الصعبة أمام العملية التعليمية مما يستدعي منها تطويرا في أسلوب الأخذ بالمادة العلمية ومنهجية التعامل مع هذا المتعلم (ماضوي، 2010م، صفحة 41).

يُبنى تعلم التلاميذ في بيداغوجية الكفاءات على الوضعية المُشْكلة وإعداد المشاريع، التي ينبغي أن تكون على صلة بواقعهم المعيش، وأن يسخروا فيها مكتسباتهم المعرفية والمنهجية. وأن يربطوها بواقعهم وحياتهم في جوانبها الجسمية النفسية، الاجتماعية، الثقافية والاقتصادية .وتسمح المقاربة بالكفاءات عموما بتحقيق ما يأتي (حديدان، 2011م، صفحة 205، 206):

- ❋ إعطاء معنى للتعلم.
- ❋ جعل التعليم أكثر نجاعة.
- ❋ بناء التعليم المستقبلي.

وتهدف المقاربة بالكفاءات في عملية التدريس إلى:

- ✓ تزويد المتعلم بمعارف قابلة للتجنيد: توظف أغلبية المعارف خارج المدرسة في ممارسات اجتماعية معقدة، تستمد وجودها من حقول دراسية عدة، ولهذا يمكننا التدرب على التحويل والتجنيد في ملتقى معارف كثيرة تكون على شكل مشاريع متعددة التخصصات (بورغداد، 2010م، صفحة 34).
- ✓ تزويد المتعلم بمعارف توظف في حل مشكلات معقدة: إن المقاربة بالكفاءات تحول جزءا من المعارف الدراسية إلى موارد لحل المشكلات أو تحقيق مشاريع أو اتخاذ قرارات ذلك ما يسمح بدخول مميز في عالم المعارف (بورغداد، 2010م، صفحة 34).
- ✓ يتم التعليم بواسطة البناء التدريجي للمعرفة في شكل حلزوني عن طريق ربط علاقة بين المكتسبات القبلية والمعارف الجديدة، وتكون مهام المدرس توفير الشروط الملائمة لمساعدة المتعلم على اكتساب المعرفة. (بورغداد، 2010م، صفحة 35).
- ✓ جعل التلميذ محورا أساسيا لها وتعمل على إشراكه في مسؤولية قيادة وتنفيذ عملية التعلم، وتشجيع عملية إدماج المفاهيم والأدوات المعرفية الجديدة، وكذا اعتماد أسلوب التراكم المعرفي (بورغداد، 2010م، صفحة 35).

ومن مزايا المقاربة بالكفاءات أنها تساعد على تحقيق الأغراض الآتية لدا المتعلم (حديدان، 2011م، صفحة 204، 205): – تبني الطرق البيداغوجية النشطة والابتكار.

- تحفيز المتعلمين (المتكونين) على العمل.
- تنمية المهارات وإكساب الاتجاهات، الميول والسلوكيات الجديدة.
- عدم إهمال المحتويات (المضامين).
- اعتبارها معيارا للنجاح المدرسي.
- توفر الوقت (ماضوي، 2010م، صفحة 42، 43).
- تشوق المتعلم وتجذبه نحو الدرس.
- معالجة مشاكل النطق والتأتأة.
- تساعد على تقوية الشخصية للمتعلم.
- تنوع حواس المتعلم بمشاركة أكثر من حاسة في التعلم.
- تنمي الحس الجمالي والتفكير الإبداعي.

ومن كل هذا يتضح أن دور المتعلم في ظل المقاربة بالكفاءات هو دور إيجابي حيث يبحث عن المعلومة بنفسه، يجمع الحقائق، يمحصها ويستنتج منها، يتعلم باللعب والحركة، يتصل بالمجتمع، يتعلم من خلال العمل، يستفيد من معلمه عندما يحتاج إليه، ينمي مهارات التفاهم والحوار مع الناس وتكوين الرأي السليم، يتعلم ويتربى على التشاور والتعاون (ماضوي، 2010م، صفحة 39).

ففي هذه المقاربة لا يوجد دور خاص بالمتعلم بل تتغير أدواره فهو المتعلم المؤمن، وهو الباحث المنقب، والناقد الحذق، وهو المبدع والمنتج، والإنسان القوي، والقائد المسئول، والمتفحص الماهر، والمحاور اللبق، والمحدث المحنك والمناظر بالحجة والبرهان....

فالعملية التعليمية التعلمية في المقاربة بالكفاءات تسعى إلى لتحويل أدوار المتعلمين من نواتج للتعلم، إلى صناع معرفة ومنتجي التعلم، وإلى بناءهم بناء شاملا ومتكاملا، فيتخرجون وهم يملكون المعرفة العميقة والمهارة العالية والقيم الثابتة، التي تتيح لهم الفرصة ليكونوا مواطنين فاعلين قادرين على الإنتاج والنجاح (ماضوي، 2010م، صفحة 40).

ودور المتعلم في المقاربة بالكفاءات هو المحور الأول الفعال سخر كل من المعلم والمنهاج لخدمته.

خاتمة:

إن مقصد التعليم في العالم اليوم هو تدريب المتعلمين على كيفية التعلم والوصول إلى المعلومات، هذه الأخيرة التي أصبحت المحرك الأساسي لتطور المجتمعات الحديثة، وبناء الكوادر والكفاءات القادرة على الإبداع والتغيير في ظل تطور هائل لتكنولوجيات الإعلام والاتصال أعطت الأهمية البالغة للعقول في صناعة الازدهار.

والجزائر واحدة من هذه الدول التي أولت النظام التربوي خلال العشر سنوات القليلة الماضية إصلاحا شاملا مس مختلف مستويات التعليم، وعمدت إلى إدخال طريقة المقاربة بالكفاءات، والتي لا تزال تحتاج إلى المزيد من التوضيح من أجل تطبيقها الأمثل في العملية التعليمية حتى تؤتي أهدافها (حديدان، 2011م، صفحة 206).

ومثلما أن التغير والتطور سنّة من سننّ الله سبحانه في الحياة فأن مقاومة التغير أيضا مسألة طبيعية، فمقاومة التغير هي حالة الاستجابة السلبية ضد أي عملية تغير، فمنها ما يكون من منطلق القناعة بعدم إمكانية التغير أو عدم القدرة على التغير أو حتى الخوف من عملية التغير لأنها ستأتي بالمجهول، كما أن هناك فئة منتفعة لا تريد التغير لأنه سيهدم مصالحها الشخصية وهذا مما يعيق حالة الاستجابة للتحدّيات التي يواجهها المجتمع في عملية التغير. ولكننا نرى في ظل الظروف والمتغيرات التكنولوجية وما يحدثهُ التطور السريع من ضياع الكثير من القيم الاجتماعية وسط زحام هذا العصر (علي، 2012م، صفحة 13، 14).

إضافة إلى ذلك فإن أقل وصف يمكن أن نطلقه على المستوى الثقافي للمتعلم هو الضحالة والخواء الفكري وهذا بطبيعة الحال أدى إلى نشوء ما يسمى بثقافة الفوضى والتي لا توفر الوقاية الفكرية لهذا الشاب وحمايته من شتى التيارات الفكرية المنحرفة.

والسبب في هذا عدم تطعيمه ضد كل هذه الفيروسات سواء في الأسرة أو المدرسة، والمقاربة بالكفاءات تحدٍ كبير في المدرسة الجزائرية خاصة لقلة وجود معلمين واعيين متمكنين متكونين، وعدم توفر البيئة الصحية السليمة لممارسة المقاربة بالكفاءات، وأمام انشغال المتعلم بعالمه الخاص أصبحت حجرة الدراسة بالنسبة له حجز لساعة في مادة معينة أو مكان ليمرر ويضيع وقته فيه، وقليلون هم من المتعلمين من هدفهم حقا التعلم والرقي والتطور، وهؤلاء إما يواجهون أساتذة غير أكفاء أو غير مهتمين شغلتهم ظروفهم الشخصية ومطالبهم النقابية عن دورهم في التعليم كوظيفة وكرسالة أو يصطدمون بمتعلمين أتوا لكل شيء إلا للدراسة فيخربون الجو الملائم للتعلم، وهذا في غياب المسؤولين من أصغرهم إلى أكبرهم وقائدهم.

ودور المتعلم في هذه المقاربة لن يُفَعَّل إلا بتوفير الظروف الملائمة والمناسبة المادية والمعنوية والمعرفية وخاصة الأساتذة، هذا هو الواقع وتبقى هذه المقاربة شعارات نظرية تقال فقط.
ومن هذا البحث خلصنا للنتائج التالية:

- الحرص على تطوير المدرسة الجزائرية وبنيتها والتوجه إلى ثقافة الابتكار وتقدير طموحات آمال المجتمع في تعليم أبنائه، بدلا من الانصياع عبر الانفتاح الإيجابي على العالم ومعرفة ما يدور فيه واكتساب معارفه.
- تكوين علاقات جيدة بين أطراف العملية التعليمية خارج الإطار الرسمي، لتتاح الفرص للتعبير الحر عن تحسين المدرسة والحوار المتكافئ لتجويد التعليم وتنشيط قدرات المتعلم فيتعلم ويجرب ويختبر بنفسه ابتكاراته.
- أخطر مهنة التعليم فعلى مقاعد الدراسة يولد الإبداع أو يوأد، لذا يجب توفير بيئة صالحة للتعلم، والحرص على تنميتها وتفعيلها.
- اعتبار المتعلم محورا أساسيا في العملية التعليمية التعلمية، فهو شريك فعال ضمن أية إستراتيجية لتنفيذ عملية التعلم (انتقال المناهج من مفهوم التعليم إلى مفهوم التعلم). ويصبح المعلم ضمن هذه المقاربة وسيطا بين المعرفة والمتعلم ليسهل عملية التعلم، ويحفز على بذل الجهد والابتكار ويحدد الوضعية، ويحث المتعلم على التفاعل معها ويقوم صيرورة التعلم.

ولكي تتحقق هذه الغاية ينبغي اختيار الوضعيات من واقع التلميذ، تطرح في إطار مشكلة، يستلزم حلها تجنيد المكتسبات القبلية، من معارف وخبرات واستعدادات ومهارات وقدرات وكفاءات. وهكذا يتيح هذا

الإطار للتلاميذ فرص التعلم لبناء المعارف والكفاءات، وينميها في سياق متكامل ومنسجم، بدلا من التركيز على تكديس المعارف وتراكمها في الذهن ثم استظهارها عند الحاجة في الاختبارات والامتحانات.

كان الهدف من البحث الوقوف على دور المتعلم في العملية التعليمية التعلمية في ظل المقاربة بالكفاءات والموقع الذي يشغله المتعلم في غرفة الصف واتجاهاته نحو المحيط الصفي، وانعكاس ذلك على تحصيله الدراسي. وجدت أن دوره في هذه المقاربة فعال نشط نلمسه في مواقفه وسلوكه في المدرسة والأسرة والمجتمع وفي بيئته وتأثيره في كل ذلك إيجابيا، وعلى المدى الطويل التطور والتنمية في جميع النواحي والمجالات وتحقيق التقدم وآمال مجتمعه، لكن في واقع التعليم الجزائري هو غير ذلك في كل شيء. والسبب الضعف الخطير في سلك التربية والتعليم وعدم المتابعة والتنظيم والافتقار للكفاءات، وعدم التكوين المتواصل والمراقبة والوقوف على تطبيق هذه المقاربة والإهمال والتهميش من قبل الجميع وانعدام الوسائل والبيئة والأجواء الملائمة لتطبيقها. وانعدام تجانس الأقطاب البيداغوجية فيما بينها وضعفها، هذا عامة إلا أنه يوجد الأمل في نجاحها بتضافر جهود الجميع.

المراجع:

ابن سلمه، منصور بن عبد العزيز (2008م). *معايير عناصر العملية التعليمية*. الرياض–المملكة العربية السعودية: وكالة التخطيط والتطوير الإدارة العامة للبحوث، وزارة التربية والتعليم، الجزء الأول، الطبعة الأولى.

إصلاح المنظومة التربوية النصوص التنظيمية (2009م). الجزائر: المديرية الفرعية للتوثيق مكتب النشر، وزارة التربية الوطنية، الطبعة الثانية، الجزء الأول.

أفروجن، كهينة (2017م). *واقع المنطومة التربوية التكوينية في الإعلام التربوي الجزائري*. الجزائر: مجلة تاريخ العلوم، العدد السابع–مارس، جامعة باتنة1.

الحنجوري، محمد (20ديسمبر2014م). جذور التعليم التقليدي وإمكانيات التعليم الإلكتروني. *المجلة الإلكترونية لمركز التميز والتعليم الإلكتروني*.

الحياري، حسن(1993م). *أصول التربية في ضوء المدارس الفكرية إسلاميا وفكريا*. أربد –الأردن: دار الأمل.

الغامدي، إيمان علي (1437هـ). *أثر البيئة الصفية على التعلم*. ينبع الصناعية: الثانوية الثانية.

الهيتي، عبد الستار إبراهيم. *التعليم التقليدي والتعليم الالكتروني*. البحرين: قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، جامعة البحرين.

بركات، زياد (2010م). موقع جلوس الطالب في غرفة الصف وأثره في اتجاهاته وتحصيله الدراسي. *فلسطين: جامعة القدس المفتوحة منطقة طولكرم التعليمية*.

بن يحيى، شادية (31ماي2012م). التربية والتعليم في الجزائر ورهانات العولمة. *http://www.diwanalarab.com/spip.php?article33162* .

بورغداد، ميادة (2010م). *معوقات فاعلية الإشراف التربوي على التعليم*. قسنطينة –الجزائر: رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علوم التربية، قسم علم النفس وعلوم التربية والأرطفونيا، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري.

بيتس، طوني (2007م). *التكنولوجيا والتعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد*. الرياض–المملكة العربية السعودية: نقله إلى العربية وليد شحادة، راجعه عبد المطلب يوسف جابر، وزارة التعليم العالي–مكتبة العبيكان.

حديدان، صبرينة (2010م). *مدخل إلى تطبيق المقاربة بالكفاءات في ظل الإصلاح التربوي الجديد في الجزائر*. ورقلة–الجزائر: ملتقى التكوين بالكفايات في التربية، جامعة قاصدي مرباح، بتصرف.

حسين، ولهة. *نحو فهم أعمق للأسس التعليمية عند البشير الإبراهيمي*. تيزي وزو: جامعة مولود معمري.

دانييلسون، شارلوت. *تحسين إنجاز الطالب إطار عمل من أجل تطوير المدارس*. نقلته إلى العربية أماني الدجاني، العبيكان –مكتبة طريق العلم.

ديوي, جون (1978م). *المدرسة والمجتمع*. بغداد–نيويورك: ترجمة أحمد حسن الرحيم، مراجعة محمد الناصر، تصدير محمد حسين آل ياسين، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر–مؤسسة فرانلين للطباعة والنشر، الطبعة الثانية.

راشدي، حسناء. (2004م). *عمليتي التعليم والتعلم*. الجزائر – الجزائر: مذكرة لنيل شهادة الليسانس لأساتذة التعليم الثانوي، المدرسة العليا للأساتذة قسم البيولوجيا.

شحاتة، حسن (2008م). *رؤى تربوية وتعليمية متجددة بين العولمة والعروبة*. القاهرة–مصر: دار العلم العربي.

صلاح، رزان (01مارس2017م). عيوب الطريقة التقليدية في التعليم. *http://mawdoo3.com/%D8%B9%D9%8A%D9%88%D8%A8_%D8%A7%D9%84%D8%B7%D8%B1%D9%8A%D9%82%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%82%D9%84%D9%8A%D8%AF%D9%8A%D8%A9_%D9%81%D9%8A_%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B9%D9%84%D9%8A%D9%85* .

عبيات، علا (09مارس2017م). عيوب التعليم التقليدي.
http://mawdoo3.com/%D8%B9%D9%8A%D9%88%D8%A8_%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B9%D9%84%D9%8A%D9%85_%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%82%D9%84%D9%8A%D8%AF%D9%8A .

علي، أنوار محمود (2012م). *دور التربية في التغيير الاجتماعي*. الموصل–العراق: مجلة كلة العلوم الإسلامية، المجلد السادس، العدد الثاني عشر.

كانط، ايمانويل(2005م). *ثلاثة نصوص تأملات في التربية ماهي الأنوار؟ ما التوجه في التفكير؟*. صفاقس–تونس: تعريب وتعليق محمود بن جماعة، دار محمد علي للنشر، الطبعة الأولى.

ماضوي، آسيا (2010م). دور الأقطاب البيداغوجية في مدى تطبيق المقاربة بالكفايات مادة العلوم الإسلامية أنموذجا. برج بوعريريج–الجزائر: مذكرة *نهاية التكوين لتخرج أساتذة التعليم الثانوي الجدد المعهد الوطني لتكوين مستخدمي التربية وتحسين مستواهم معهد ابن رشد ولاية تيارت مديرية التكوين والتفتيش ولاية برج بوعريريج*.

هياق، إبراهيم (2011م). *اتجاهات أساتذة التعليم المتوسط نحو الاصلاح التربوي في الجزائر أساتذة متوسطات أولاد جلال وسيدي خالد نموذجا* .قسنطينة–الجزائر: مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم اجتماع التربية، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم علم الاجتماع، جامعة منتوري.